الغربة والاغتراب اى النزوح عن الوطن والأهل والأحباب .

وعلل الجاحظ تطير العرب من الغراب فى كتاب الحيوان بقوله : « وأصل التطير انما كان من الطير اذا مر بارحا أو سانحا ، اى عن اليمين او عن اليسار ، ورآه المتطير يتفلى او ينتف ثم صاروا اذا عاينوا الأعور من الناس او البهائم او الأعضب او الأبتر زجروا عند ذلك وتطيروا كما تطيروا من الطير ، فكان زجر الطير هو الاصل استقوا منه التطير ، ثم استعملوا ذلك فى كل شىء ، والغراب لسواده ان كان اسود ، ولاختلاف لونه ان كان ابقع ، ولأنه غريب يقطع اليهم ، ولأنه لا يوجد فى موضع خيامهم يتقمم الا عند مباينتهم لمساكنهم ومزايلتهم لدورهم ، ولأنه ليس من شىء من الطير اشد على ذوات الدبر من ابلهم من الغربان ، ولانه حديد البصر قالوا عند خوفهم من عينيه الاعور ، كما قالوا غراب لاغترابه وغراب ابى لأنه عند بيضتهم يوجد فى دورهم .

وقال ولايمان العرب بباب الطيرة عقدوا الرتائم وعشروا (أى نهقوا عشر مرات) اذا دخلوا القرى تعشير الحمار . والغراب اكثر من جميع ما يطير به فى باب الشؤم . لكنهم لم يكونوا فى ذلك سواء ، بل نفى بعضهم التطير قال سلامة بن جندل :

ومن تعرض للغربان يزجرها ... على سلامته لا بد مشؤوم

وقال غيره :

يا أيها المزمع ثم انثنى ... لا يثنك الحادى ولا الشاحج

بينا الفتى يسعى ويسعى له ... تاح له من أمره ذائج

(يتبع) ابراهم تادرس بشاى

المجلة الجديدة

يصدرها ويحررها سلامة موسى

تصدر فى اول كل شهر فى ١٢٨ أو ١٤٤ صفحة كبيرة حاوية لآراء المجددين فى العالم المتمدن فى الاجتماع والادب والعلم .

قيمة اشتراكها فى مصر والسودان ٤٠ قرشا فى العام وفى الخارج ١٢ شلنا . وهى تهدى الى مشتركيها ثلاثة كتب . وقد صدر منها عددا نوفمبر وديسمبر

١٢ شارع نوبار . مصر

فلسفة ديكارت

للاستاذ زكى نجيب محمود

تمهيد

وثبت الفلسفة فى عهد الاغريق وثبة جريئة ، كانت من غير شك شذوذا نابيا لا يستقيم مع طفولة العقل عندئذ ، ولا يتفق مع سير الانسانية الوئيد المتثاقل . وما ظنك بثلاثة من قادة الفكر وافذاذهم البارزين ، الذين لا تزال فلسفتهم الى هذا اليوم موضوعا للبحث والدرس ، وأغلب الظن أنها ستظل موضوعا للبحث والدرس الى غد وبعد غد ! ماظنك بهؤلاء الجبابرة ينشرون تلك الفلسفة العالية وذلك الفكر الرفيع فى أوساط من الناس يستحيل على عقولهم الفجة الساذجة أن تتسع لأشباهها ، أو قل لاتدنو من عشر معشارها ! ماظنك بسقراط وأفلاطون وأرسطو ، أولئك العباقرة الفحول ينتجون هذه الفلسفة فى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح ؛ أى منذ خمسة وعشرين قرنا !

لم تسغها العقول وقتئذ ، اذ لم تقو على هضمها وتمثيلها ، فكان طبيعيا أن يكون نصيبها الطى والاهمال ، حيث استقرت فى بطون أسفارها قرونا وقرونا ، تنتظر العقل الناضج الرشيد ، تنتظر هذه الانسانية المتلكئة فى سيرها حتى تسمو وترتفع الى حيث هى ؛ وعندئذ تستطيع أن تنشر صفحاتها المطوية وتخرج الى شمس كنزها الدفين

ولكنها وقفت تنتظر حينا طويلا من الدهر حتى سئمت الانتظار ! وحق لها أن تمل وتسأم ، فقد أقبل الناس على عصر بل عصور ، اصطلح المؤرخون على أن يطلقوا عليها اسم العصور الوسطى كانت مظلمة شديدة الظلام ، تتخبط فى دجور من الجهل ، لا يكاد ينفذ فيه قبس واحد من نور ، كأنما أصاب الدهر سنة من النوم أو اغفاءة من السهو ، فبدل فى مواضع الازمان ، حيث قدم ما كان يجب أن يؤخر ، وأخر مايجب أن يقدم !! فى تلك العصور سيطرت الكنيسة على العقول الى أقصى حدود السيطرة ، وحرمت على الناس كل ضرب من ضروب التفكير الحر الطليق ، كما حظرت عليهم كل دراسة لاتمت الى الدين بسبب وثيق . اسمع الى البابا غريغورى الأكبر ، رئيس الكنيسة الأعلى ، كيف ينحو باللائمة المرة ، والتقريع اللاذع ، على رجل من رجال الدين ، وشى به اليه انه يصرف شطرا من زمنه فى قراءة الآداب القديمة فيقول :

« لقد وصل الى علمنا ما نخجل لذكره ، ذلك انك تدرس الآداب القديمة لاصدقائك فامتلأ قلبنا غضبا منك ، واردراء بك ، وحسرة عليك . فان لسانا ينشد مديح المسيح ، لايستطيع أن يتغنى بالأدب القديم »

ولكن هيهات أن تصاب الانسانية بالجمود دون ان تمضى فى سبيلها قدما . لاتتقهقر خطوة الا لكى تتحفز للوثوب الفسيح . فبالرغم من هذا الستار الصفيق الذى أسدله الكنيسة فى العصور الوسطى دون العقول ، لتحول بينها وبين التفكير فى مظاهر الوجود ، فقد نفذ الى النفوس بصيص من نور : فساورها القلق من هذا الاستسلام المطلق للكنيسة ورجالها . وهنا بدأ الشك يتسرب الى العقيدة الراسخة شيئا فشيئا ، حتى قال « أبيلار » فى جرأة الثائر : « يجب ألا نؤمن بمذهب لانه من عند الله ، بل لأن الدليل العقلى قائم على صحته . فان الشك يدعونا الى البحث ، والبحث يوصلنا الى العلم الصحيح »

ثارت النفوس اذن ثورة عنيفة هدامة ، وتناولت بالتحطيم تلك الأغلال الثقيلة التى فرضتها عليهم الكنيسة فرضا ؛ والتى كبلت عقولهم حينا طويلا ، فحبست عنها الحياة والنور ! وكانت فورة الغضب حامية جارفة ، اكتسحت أمامها الحدود والسدود ، وقوضت العقائد المتأصلة فى النفوس ، وزلزلت بمعول الشك تلك الآراء التى بلغ يقينها درجة تدنو من التقديس . كانت العصور الوسطى تفرض على سكنيها التسليم بكل شىء ، فجاءت هذه النهضة الفكرية تحتم الشك فى كل شىء !!

ولم يكن ذلك الشك هداما وكفى ، لم يكن يريد أن يقوض البناء ، ثم يهمل انقاضه مركومة بغير تشييد ، كلا بل أراد أن يهدم باطلا ليقيم صرح الحق قويا متينا . ذلك ماقصدت اليه الفلسفة فى فجر العصر الحديث ، ولكن أين عساها أن تجد اللبنات التى تقيم بها ذاك الحصن الجديد ؟ أتلتمس ذلك فى فلسفة العصور القديمة ، أم تلتمسه فى فلسفة العصور الوسطى ؟ لقد مزجت بينهما جميعا ، وكان لها من هذا المزيج ماتريد . فقد كان القدماء ينشدون الحكمة الفلسفية ، أو ان شئت فسمها حكمة دنيوية ، وكان أهل العصور الوسطى يبحثون عن الحكمة اللاهوتية ، فجاءت الفلسفة الحديثة واعترفت بالمطلبين ، ثم الفت بينهما ، واتخذت منهما غرضا واحدا . فكان لابد لها أن تأخذ بالحياتين الأولى والآخرة فى وقت معا . لابد لها أن تميل بأسرها نحو هذه الحياة الواقعة ، وان تتجه بكليتها نحو الغريب المرقوب على السواء !

فقد كانت الوثنية الأولى تعتد بالعالم الكائن فحسب ، وكانت مسيحية العصور الوسطى تعنى بالعالم الآخر فحسب ، ثم تبع ذلك مرحلة انتقال ظهرت فيها النزعتان جنبا الى جنب : النزعة الوثنية المطبوعة بالطابع الدنيوى . والنزعة الدينية الزاهدة فى الحياة الدنيا ، ثم جاء العصر الحديث فكان ما أسلفنا من تآلف بين الوجهتين ، وجمع كل رجل فى نفسه كلا الجانبين . وذلك انما يكون بأن تخلق من روحك عالما تعيش فيه عيشة مطمئنة راضية ، لاتقف عند الحياة الدنيا محصورا فى حقائقها المحسة الضيقة ، وكذلك لاتقصر نفسك على الحياة الروحية ، فتمر عليك الحياة ، أو على الأصح تمر أنت على الحياة ، دون أن تشق عبابها وتخترق غمارها . لاتنصرف بالأولى عن الآخرة ، ولا تصدفك الآخرة عن الأولى . لاتعن بالجسد وتهمل الروح ، ولا تعن بالروح وتزدرى الجسد ، بل اجمع بينهما فى وحدة متآخية ، وأنا أظن أن ذلك مايدعو اليه الاسلام فى الحديث النبوى الشريف : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . . . مزج بين الروح والمادة ، بين الدين والدنيا .

نعم ينبغى ألا تكون ماديا فتنكر هذه القوة التى يفيض بها الوجود ، كما يجب ألا تكون صوفيا زاهدا ، يزورُّ عن هذه المادة التى تملأ جوانب الكون . ولتكن — أيها الانسان — موضعا يتصافح عنده الطرفان المتخاصمان ، ونقطة يلتقى لديها الشطران النقيضان . . . ألست تريد أن تمجد الطبيعة المادية الى أقصى حدود التمجيد ، مفتونا بدقائقها المتآلفة المتناغمة ؟ ثم ألا تريد أن تكون مع ذلك لاهوتيا يعبد الروح الأعلى الذى يستغرق الوجود بقوته ؟ أو بعبارة جلية موجزة ، ألا تريد أن تسرح فكرك فى الطبيعة ومافوق الطبيعة على السواء ؟ اذن فابحث الانسان ! تناول الانسان بالتحليل والدرس ، فهو جماع الحكمتين ، وملتقى الجانبين . التمس عنده الطبيعة المادية فى أدق ترتيب وأحكم تصوير ، والقوة الروحية فى أروع مظاهرها وأسمى مجاليها . انه الانسان الذى أنزله الله فى الارض ، ليكون لسانا ناطقا بحكمته ، وترجمانا يفصح عن قوته ، ورسولا أمينا يصل مابين الله والعالم المادى ، واذن فقد بات طريق الفلسفة واضحا معبدا . . . فاذا أردت الحق ، فلتبدأ سيرها من النفس ، نفس الانسان ، ثم تسلك سبيلها ، راسخة القدم موطدة اليقين ، حتى يصل بها البحث الى معرفة الله والعالم المادى . . . لقد انعكس الوضع ، وانقلب المنطق نتيجة لمقدمه ، فقد كانت الفلسفة فى بادىء أمرها . تفتح سيرها ببحث

القوة والمادة ، أعني الله والطبيعة ، لكي ينتهي الى الانسان ؛ أما الآن فهي تبدأ جهادها بدراسة النفس الانسانية ثم تنتقل منها الى العالم الخارجي .

بذلك الشك حطمت الفلسفة الحديثة كل ما نزل عند القدماء منزلة اليقين ، وعلى هذا الاساس الجديد من توحيد المادة والروح في الانسان ، واختصاصه بالبحث أولا ، ثم الانتقال منه الى العالم الخارجي ، قام البناء الجديد .

وكان أول من وطد ذلك الأساس وشيد عليه البناء فيلسوفنا رنيه ديكارت

فلسفته

١ - العقل يثبت وجود نفسه

ان هذا الرأس الصغير الذي تحمله فوق منكبيك ، ليفيض بالآراء ويزدحم بالعقائد ، وتعمر دنيتي المعلومات ، التي تقاطرت الى ذهنك من هنا وهناك . فهذه الطائفة من المعارف قد رأيتها بعينيك وتلك سمعتها بأذنيك ؛ وثالثة لم تسلك الى ذهنك طريق الحواس ، ولا أوحى اليك بها انسان آخر ، انما نبعت من نفسك الباطنية ، فأنت توقن ولا ريب أن النار محرقة لانك لمستها بيديك ، ولا يخامرك شك في أن رجلا اسمه نابليون كان يعيش في أوائل القرن التاسع عشر ، لأن اجماع الرواة يؤكد ذلك ، ولا تتردد في أن تحكم بأنك مادمت موجودا في حجرتك ، يستحيل أن تكون أنت في نفس الوقت جالساً في المقهى ، لان عقلك يعلم ذلك بالضرورة . . . وهكذا تستطيع أن تستعرض معلوماتك جميعاً ، فتراها قد سلكت اليك هذا الطريق أو ذاك ، فهي إما نفذت اليك من الخارج بواسطة الحواس ، أو لدنية نبعت من ضرورة عقلية ، ومع ذلك فكثيرتها الغالبة تقع عندك موقع اليقين الذي لا يحتمل الشك والجدل .

ولكن ألا يجدر بك أن تتوب الى نفسك فتعيد معها الحساب على هذا الاطمئنان السريع ، والتصديق العاجل بصحة هذه الحقائق مع أنها قد تكون خطأ كلها ؟ أليست هذه الحواس التي تركن الى امانتها ، خادعة في كثير من الاحيان ، فتوهمك مثلا أن القمر لاتعدو مساحته القرص الصغير ، وهو ليس كذلك ؟ وهذا العقل الذي تعتمد على أحكامه ، ألا يقدم لك صوراً وافكارا بعضها وهم خاطىء ؟ هذا صحيح لاريب فيه . فارفض منذ الآن أن تطمئن الى ما يقدمانه اليك من الحقائق ، تقبلها بالشك ولا تجزم بصحتها ، وإذن فهذه معلوماتك جميعا قد هدمت من أساسها . . . فما يدريك ان هذه الاجسام المادية موجودة حقيقة ؟ وما يدريك ان الله موجود ؟ ثم ما يدريك انك انت نفسك موجود ؟ ستقول العقل او الحواس ! كلا ، لا تفعل . فقد تبين لك انهما كثيراً ما يكونان مبعث الخطأ والزلل ، ولا يحتملان الحق واليقين . إذن فلا تتردد في ان تنزع من نفسك جميع العقائد والآراء والافكار ، وافرض ان كل ما يصادفك باطل ليس له وجود ، ولا تصدق ما تمدك به الذاكرة والحواس الخادعة ، وادع ان الجسم والصورة والامتداد والحركة والمكان كلها من خلق الخيال . فما الذي يبقى من الحق بعد ؟ لاشيء ! اللهم الا حقيقة واحدة ، ستصمد لهذا الشك الجارف ، وتظل ثابتة لاتميل أمام عاصفة الافكار والجحود ، لا بل تزداد يقينا كلما أمعنت في الشك والانكار ، تلك هي أن هناك شخصا يشك ! . . . أرفض الحقائق ، وشك في صحتها ما وسعك الرفض والشك ، ولكنك لن تستطيع أن تشك في أنك تشك .

نعم مهما شككت فلست أنكر أني أشك ، ولما كان الشك ضربا من ضروب التفكير ، اذن فلا شك أني أفكر . وبديهي أني لو لم أكن موجودا لما فكرت ؛ واذن فانا موجود وليس في وجودي شك

« أنا أفكر فأنا إذن كائن » تلك هي القاعدة الاساسية التي اتخذها ديكارت أساسا قديما أقام عليه فلسفته بأسرها . ويلاحظ ان أثبات الوجود هنا لاينصب الا على العنصر المفكر من الانسان ولايتعداه الى الجسم . ذلك ، لأنه أثبت وجوده بناء على وجود تفكيره ، أي عقله ، ولم يقم الدليل بعد على وجود الجسم . ولكن مالنا وللجسم الآن ؟ هانحن اولاء قد حصلنا على العقل وايقنا بوجوده ، وهو أساس المعلومات جميعا ، وحسبنا ذلك لنهتدي عن طريقه الى معرفة الحقائق التي ننشد ، وهكذا بدأ ديكارت بالشك الى حيث انتهى الى اليقين . وقد قال قائل : « كلما فكرت ازددت شكا » فعارضه ديكارت بقوله : « بل كلما شككت ازددت تفكيرا ، وازددت بالتالي يقينا بوجودي » .

حقا لقد انتزع ديكارت من غمار الانقاض التي تركها الانكار والشك ، يقينا لايأتيه الباطل ، ذلك انه هو موجود لاريب في وجوده . ثم يقرر ان كل حقيقة يستطاع اثباتها بمثل هذا اليقين القاطع ، لايجوز له ان يتردد في اعتبارها حقا لايقبل الشك

ثم يستطرد قائلا ان الانسان يخرج الى هذا العالم وفي فطرته طائفة من هذه الحقائق اليقينية الثابتة التي لاتحتمل الانكار او الشك ،

وهي لا تأتي عن طريق التحصيل ، كالحقائق الرياضية مثل ٢ و ٢ تساوي ٤ . فهذه حقيقة مؤكدة ؛ وليست تجيئك عن طريق الحواس ، انما هي مفطورة فيك منذ ولادتك ، وقل مثل ذلك في كل البديهيات العقلية كأن تقول ان الجزء أصغر من الكل وما الى ذلك مما هو معروف معلوم .

٢ — اثبات وجود الله

يتضح مما سبق ان ديكارت بعد ان انكر كل شيء ، عاد فأثبت وجود نفسه ، ثم أتبع ذلك بالاعتراف بوجود بعض الحقائق الفطرية الثابتة ، كالتي قدمنا لك مثلا .... فنحن اذا زعمنا ان شيئا لا يستخرج من لاشيء ، فاننا نقرر حقيقة لا تقل يقينا عن حقيقة وجود العقل المفكر ، لانها واحدة من تلك البدائه التي لا تحتمل الرفض والانكار . اذ لا بد أن يكون الفرع مستغرقا في أصله ، والنتيجة في مقدمتها . ومن ذا الذي يستطيع أن يصدق أن الجبل الشامخ قد خرج من ذرة حقيرة ؛ وان البحر الخضم قد اشتق من قطرة صغيرة ؟! يستحيل أن يكون ذلك لأن الذرة لا تلد الا ذرة أصغر منها ، بناء على البديهية التي اسلفنا ذكرها وهي ان شيئا لا ينشأ من لاشيء .

اذكر هذه البديهية جيدا ، ثم استعرض ما يحويه رأسك من صنوف المعارف ، قلب النظر فيما يدور بخلدك من افكار ، فاذا ترى ؟ ترى ان لكل فكرة اصلا أعم منها وأشمل ؛ وهذا طبيعي لأن الصورة لا يمكن أن توضح أكثر من اصلها ؛ أو قل تجيء على مثاله على أكثر تقدير ؛ كذلك ترى افكارا فطرية نشأت معك منذ ولدت ولم تستمدها من العالم الخارجي . ولكنك في هذا البحث الذي تستعرض به افكارك وتردها الى أصولها ، ستصادف بينها فكرة ممتازة ، هي فكرة الكائن اللانهائي ، أي انك تتصور كائنا لانهاية له ولا حدود ، فمن أين جاءتك هذه الصورة ؟ يستحيل أن تكون قد سبقت من فطرتك ، لانها أوسع منك ؛ فأنت على نقيضها كائن محدود ؛ وبديهي — كما أسلفنا لك القول — ألا تجيء الصورة أشمل من أصلها ، ومحال أن يتفرع شيء من لاشيء ، وبالتالي محال أن يتفرع الكائن اللانهائي المطلق من كائن نهائي محدود

تستطيع أن تعترض على هذا القول بأن تزعم أنك قد تستخرج من الواحد الصحيح عدداً لانهائيا بالطرح المستمر . فتسير في العدد سلبا ، ناقص واحد ، ناقص اثنان ، ناقص ثلاثة ..... ناقص لانهاية . وبذلك تكون قد حصلت على عدد غير محدود من رقم محدود .

ولكنك لست حين تعترض بهذا الاعتراض ، انما عندئذ تكون سلبية ، في حين أن الصورة مما الصور لانهايه ايجابية ، كالمكان اللانهائي والزمان اللانهائي ، ما الى ذلك .

أتستطيع اذن أن تحدثني من أين جاءتك هذه الفكرة ، بعد أن وثقت معي انها لم تتفرع عن فطرتك ؟ لا أحسبك مترددا في أن توافق ديكارت فيما ذهب اليه من أن هذه الفكرة اللانهائية الكاملة لا يمكن أن نستمد عن الطبيعة البشرية الناقصة ، بل لا بد لها من أصل يواريها كاملا وعظيما ، لضرورة التكافؤ بين العلة والمعلول . ومن هنا أصبح حتما علينا أن نسلم بوجود اله جامع لكل صفات الكمال ، وهو الذي خلق في الانسان هذه الفكرة والهمه اياها ، واذن فالله موجود وليس في وجوده شك

٣ - اثبات وجود العالم الخارجي

لقد رأيت فيما سبق كيف حمل ديكارت معول الشك ، وقوض به كل فكرة ورأي ، وأنكر الوجود بأسره ، بل وأنكر نفسه ، خشية أن يكون مخدوعا ومتورطا في خطأ أوحي به اليه فقابله بالتسليم ، ثم سار في طريق المنطق السليم حيث انتهى به الى اثبات وجوده ، ثم رتب على وجود نفسه وجود الله ، وها هو ذا يستنتج من وجود الله وجود العالم الخارجي . . . أليس الله هو ذلك الكائن اللانهائي ، المطلق القوة ، الذي لا تحده الحدود ؟ أليس هو علة وجود نفسه وهو خالق الكون : اذن فلا ريب في أنه كائن كامل لا تشوبه شائبة من نقص ، لأنه ما دام قادرا ؛ مطلقا في قدرته ، فمن الطبيعي أن يكون عمله مثلا أعلى للكمال ، لان ذلك في حدود استطاعته ، وما دام حائزا ضروب الكمالات المختلفة . فهو اذن متصف بالصدق الذي لا يخالطه ذرة من خداع ، ومعنى ذلك أنه يستحيل على الله أن يكون سببا في تضليل الانسان وخداعه . فقد منحنا عقلا مفكرا ، وضمن لنا أن نصل به الى معرفة الحق اذا أحسن استعماله ، فلا نعتبر حقا الا ما يحكم العقل بصحته حكما يقينيا قاطعا لا يقبل الشك .

واذن فقد اصبح من اليسير أن نقيم الدليل على وجود العالم الخارجي ؛ فقد كنا شككنا في وجوده ، لجواز أن تكون عقولنا خادعة تصور لنا الباطل حقا ، فأما وقد أقمنا الدليل على وجود الله ، وأثبتنا له جميع صفات الكمال ، ومن بينها الصدق ، فيجب ألا يعثر بنا الشك في وجود الكائنات الخارجية ، اذ لو كانت وهمية ، لترتب

على ذلك أن يكون الله خادعا ، لأنه هو الذى أمدنا بتلك العقول الخادعة ، وهو الذى يصدر لنا جميع ما ندرك . واذن فالعالم الخارجى موجود وليس فى وجوده شك .

ولنوجز ما أسلفنا فى حلقات منطقية متتابعة . نقول : أنا أفكر ، فأنا موجود ، وليس فى وجودى شك . ومادمت أشتمل على فكرة الكائن اللانهائى . وهذه لايمكن أن تشتق من طبيعتى المحدودة ، فلا بد أن تكون ناشئة عن سبب خارجى يتكافأ معها ، وهو الله . ومادام الله حائزا لجميع ضروب الكمال ، فيستحيل عليه أن يضللنا ، ولابد أن يكون ما وهبنا من عقل اداة صالحة ، وان ماندركه حق واقع . واذن فهذا العالم الخارجى الذى تصوره لنا عقولنا موجود لاريب فى وجوده ؛ وبعبارة أوجز ، نقول ان ديكارت بدأ بأثبات أنيته ، ثم رتب عليها وجود الله ، ثم استنتج من وجود الله وجود العالم الخارجى

٤ — ولكن ما قدر ذلك العالم الخارجى ؟ ومم يتكون ؟

يحدثنا ديكارت أننا نستطيع أن نرد مظاهره الى اصلين ، أو فكرتين وهما الامتداد والفكر ، أو بعبارة ثانية القوة والمادة . فهما شطران منفصلان لايعتمد الواحد منهما على الآخر بأية حال من الاحوال ، وهذا هو مبدأ ثنائية الوجود ؛ أى شطر الكون الى عنصرين متميزين ، أما أحدهما وهو المادة وصفته المميزة هى الامتداد طولا وعرضا وعمقا ، اذ لانستطيع أن نتصور مادة بغير امتداد . وأما الثانى وهو العقل ، فخاصيته المميزة هى الفكر ، فهو يفكر تفكيرا متصلا لاينقطع لحظة ، كما ينبعث الضوء عن الشمس والدف عن الحرارة . أى أنه فى وعى مستمر دائم ؛ حتى ان ديكارت لم يستطع أن يتصور الجنين وهو فى أحشاء أمه بغير تفكير ! ويظهر من هذا أن خلافا جوهريا يفصل بين شطرى الوجود : المادة والروح ، وبالتالى بين جسم الانسان وعقله ؛ فهما نقيضان مختلفان فى الجوهر والعرض على السواء ، وان كان ذلك كذلك ، فكيف أمكن اتصالهما ، وكيف يؤثر أحدهما فى الآخر ؟ هنا لايتردد ديكارت فى أن ينكر العلاقة بين عنصرين هما على أشد مايكون التباين بينهما ، ويعتقد أنها ارادة الله وحدها التى تشرف عليهما ، وتدبر حركاتهما : فأما الجسم فخاضع لما تخضع له كل الاجرام المادية الأخرى من قوانين ، وليس للعقل من القوة مايستطيع بها أن يدفع الجسم الى الحركة ؛ اللهم الا اذا وافقت ارادة الشخص ارادة الكائن الأعلى .

اذن فالوجود عند ديكارت ينحل الى عنصرين أساسيين ، أو مادتين أوليتين ، فكل أجزاء المادة ، كائنة ما كانت صورها ، مركبة من مادة متجانسة . وكل ما يحتوى عليه الوجود من قوة ، أو بعبارة أخرى من روح ، أو بعبارة ثالثة من عقل ، فهو مركب من مادة متجانسة كذلك . ويشرف على العنصرين أو المادتين الله القادر حكيم .

ومما يجدر ذكره أن سبينوزا ، وقد جاء على أثر ديكارت ، لم يطمئن الى هذا التقسيم الذى لامبرر له ، وصهر الجميع فى وحدة متجانسة لاانفصال فيها ولا اختلاف . وقد عجب من ديكارت ، وتساءل : لماذا تقصر القوانين الآلية على الجسم وحده دون الروح ؟ أما هو فلا يحجم عن أن يمد من نطاقها حتى تشمل العناصر الثلاثة : الله والعقل والمادة ، استغفر الله ، بل ليس ثمت عند سبينوزا من تثليث للعناصر ، انما الجميع عنصر واحد متجانس ، يسير وفق قانون شامل لايتبدل ولا يفنى

زكى نجيب محمود

مدارس المراسلات المصرية

بكالوريا . كفاءة . ابتدائية . لغات

المناهج على أحدث نظم وزارة المعارف المصرية والجامعات الاوربية والامريكية . رسوم فى غاية المهاودة ونتائج باهرة . كل تلميذ فى منزله فصل بذاته ومدرسته لتحل كلها له وحدة . أطلب كتاب (طريق النجاح) ، و (كيف تكون كاتبا) يرسلا بدون أى مقابل ، فقط ١٠ مليمات طوابع بوسته تكاليف البريد . قيمة مجاوبة فى الخارج . أكتب باسم :

محمد فائق الجوهرى

مدير مدارس المراسلات المصرية ١١ شارع سنجر الدروزى بالقاهرة

تليفون رقم — ٥٠٣٥٩

صحافة · تأليف الروايات · رسم